

وداعا 2018: هل كان ناجحا!

2018-12-26 بروجيكس سنديكيت

خافير سولانا

مدير- من المؤسف، أن عام 2018 لن يذكره التاريخ على أنه عام النجاحات السياسية والديبلوماسية. إذ رغم أن النظام العالمي قد بدأ يتراجع منذ 2017، أصبحت الظروف السياسية العالمية فوضوية وسريعة التوتر وعدوانية بكل ما في الكلمة من معنى. وهذا الوصف ليس اعتباطيا، حيث أنه الأنسب لوصف الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة ترمب.

ومنذ يناير/كانون الثاني 2018، عندما أعلنت إدارة ترمب فرضها للضرائب على الألواح الشمسية المستوردة وآلات الغسيل، عرف هذا العام "حربا تجارية" تتصاعد وتيرتها، أساسا وليس حصريا، بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين. وأثرت الخلافات بشأن الضرائب القائمة على منظمة التجارة العالمية وعززت عدم الثقة المتبادلة في العلاقات الصينية الأمريكية.

ومن جهتها، ألغت الصين هذا العام، حدود الفترة الرئاسية، مما سبب مخاوبا من أن ما يطلق عليه الحقة الجديدة للرئيس شي جين بين ستنتهي فترة القيادة المشتركة التي أطلقتها إصلاحات دينج شياو بينج، التي كانت في نفس الوقت إصلاحا للعبادة الشخصية لماو. وقد تكون هذه النقلة مؤشرا أيضا على التخلي عن القيود التي وضعها دينج على السياسة الخارجية للعلامة التجارية.

كما أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين رُشِح من جديد في مارس/آذار، ولم يفاجئ هذا أحدا. وفي عهد بوتين، بدأت روسيا تظهر من جديد كقوة جيوسياسية. ومع ذلك، فإن اقتصادها راكد جوهريا، وهذا راجع إلى حد ما إلى اعتمادها المفرط على الهيدروكربونات. ونظرا لغياب النمو، اعتمد بوتين على السياسة الخارجية لدعم شعبيته.

فعلى سبيل المثال، رحب السكرتير الصحفي لحملة بوتين برد الحكومة البريطانية على الهجوم

المشل للأعصاب على سيرجي ويوليا سكرييال، لأنه كان من الممكن أن يعبئ مؤيدي بوتين استعدادا للانتخابات الرئاسية. وقد يكون قرار الكرملين الأخير بمحاصرة الموانئ الأوكرانية في بحر آزوف، خطة لتعزيز نسبة قبول بوتين محليا من بين أهداف أخرى. والخطر الآن يكمن في أن كلا من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا ستوقفان عن تنفيذ معاهدة الصواريخ النووية متوسطة المدى، مما يشكل خطرا جديدا وقويا على أوروبا بشكل خاص.

وبالتوازي مع هذه الأحداث، يواصل الشرق الأوسط لعب دور ساحة حرب لأحد أكثر النزاعات عنفا في العالم. ورغم أن تنظيم الدولة مستمر في التراجع، فإنه بعيد كل البعد عن الهزيمة- على خلاف ما قاله ترمب- كما أن حصيلة القتلى جراء الحرب الأهلية في سوريا تستمر في الارتفاع. هذا بالإضافة إلى أن خطورة الكارثة الإنسانية في اليمن تتزايد، رغم استئناف المفاوضات التي تعثرت في عام 2016، وتحقيقها على الأقل لبعض التقدم. وفي أفغانستان، لازالت الحرب التي تصنف بأطول حرب في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية متواصلة، ويقدر أن طالبان تسيطر على الأقاليم أكثر من أي وقت مضى، وذلك منذ الإطاحة بحكومتها في عام 2001.

ورغم بعض التطورات التي عرفتها مؤخرا النزاعات التي ذكرتها سابقا، فإن دعائم السياسة العامة لإدارة ترمب في الشرق الأوسط بقيت كما هي في عام 2018. وأكدت الولايات المتحدة الأمريكية دعمها لمحور إسرائيل والسعودية والإمارات، التي تعتبرها حصنا ضد إيران. وفي ماي، نقلت إدارة ترمب السفارة الأمريكية من إسرائيل إلى القدس. وخلال نفس الشهر، تخلت على الاتفاق النووي مع إيران لعام 2015، وأصدرت قرارا تعسفا يقضي بإعادة فرض ضرائب خارج الدولة، مما يعكس تزايد تسليح الدولار الأمريكي.

وعلاوة على هذا، أظهر ترمب بوضوح، من خلال دعمه للحكومة السعودية ضد وكالاته الاستخباراتية في جريمة قتل خاشقجي في أكتوبر تشرين/الأول، أن أقرب الطرق إلى قلبه هي معاداة إيران وشراء الأسلحة الأمريكية. وأسفرت سياسته الواسعة النطاق في الشرق الأوسط عن تعزيز المتعنتين العسكريين في جميع أنحاء المنطقة. وفي الواقع، دخلت إسرائيل وإيران هذا العام في أول مواجهة عسكرية مباشرة بينهما.

كما أن ترمب ساهم، بطريقة أو بأخرى، في تصاعد الشعبوية عبر أنحاء العالم في عام 2018. إذ في أمريكا اللاتينية، أظهر الرئيس المكسيكي، أندريس إيمانويل لوبيز أوبرادور والرئيس المنتخب للبرازيل جاير بولسونارو أن "الشعبوية" بإمكانها أن تشمل إيديولوجيات مختلفة. وبينما يدعي الاثنان معا أنهما يمثلان "الشعب" ضد "النخبة"، انتُخب اليساري أندريس لوبيز إلى حد ما لتوبيخ ترمب، في حين يعتمد بولسونارو قومية التيار اليميني على طريقة ترمب، ويتمتع بدعم العديد من أفراد النخبة البرازيليين.

ويقول الفيلسوف الروسي ألكساندر دوجين، الذي يعتبر غالبا أحد أهم إيديولوجيي الكرملين، أنه "على الشعبوية دمج قيم التيار اليميني مع الاشتراكية، والعدالة الاجتماعية ومناهضة الرأسمالية". ويعتقد أن هذه "الشعبوية الاندماجية" تتجلى بشكل ممتاز في التحالف الحكومي الحالي لإيطاليا، الذي يشمل حركة النجوم الخمسة المناهضة للنظام التقليدي وحزب العصبة القومي.

وفي أكتوبر تشرين الأول، افتعلت الحكومة الإيطالية نزاعا مع الاتحاد الأوروبي (الذي قدم دعما لحسن الحظ) من خلال اقتراح ميزانية تجاوزت القوانين المالية للاتحاد الأوروبي. وبرر القادة الإيطاليون سياساتهم باسم التأويل القديم لـ"السيادة"، ذاك الذي يشبه تأويل مؤيدي البريكسيت في المملكة المتحدة، الذي تدفع اعتباطيته بمستقبل بريطانيا نحو المجهول.

لقد شهد عام 2018 بعض التطورات الإيجابية. أكد أن تهدئة التوتر بين الولايات المتحدة الأمريكية وشمال كوريا، وزيادة التقارب بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية، تطور ينبغي الترحيب به. والكثير من الفضل يرجع إلى رئيس جنوب كوريا مون جاي إن، الذي استغل مناسبة الألعاب الأولمبية الشتوية في بيونغتشانغ للتحديث مع برئيس كوريا الشمالية كيم جونج أون. وينبغي أيضا التنويه بدور ترمب في ربط علاقات دبلوماسية- أسفرت عن قمته التاريخية مع كيم، رغم أن إدارته ينبغي أن تحقق أكثر من تطور رمزي في مساعيها نحو نزع الأسلحة النووية من بينينزولا الكورية.

كما أن نتائج الانتخابات النصفية للولايات المتحدة الأمريكية كانت خيرا سارا أيضا. إذ تعني مراقبة الديمقراطيين في مجلس النواب أنه، ابتداء من يناير كانون الثاني 2019، ستخضع سياسات ترمب

للمزفء من المرآقبة. كما أن مجلس الشفوخ الخاضع لمرآقبة الجمهورففن عرف تطورات تلقء
ءرءفبا. ءفء أءان المجلس فف قرار أءءره فف الآونة الأءفرة، الأمفر السعوءف محمد بن سلمان
على خلففة مقءل الصءافف جمال ءاشءءف، وأءءر قرارا آءر أنهف بموءبه ءعم الولفاء المءءة
الأمرفكة لءرب السعوءفة على الفمن، وءظف القراران بءعم من كلا ءزبفن.

وفف أوروبا، ءعمءء ءوءعءاء 2019 بالأساس على ءلءة عوامل: البرفكسفف والمسءشارة الألمانية
أنءفلا مفركل، ومساعف الرئفس الفرنسف إفمانوفل مآكرون لءءققف إصلاءاء فف الاءءاء الأوروبف،
وانءءاباء البرلمان الأوروبف فف مآف. وعلى كل ءال، نأمل أن ففوز مؤفءو ءفمقراطفة وسفاءة
القانون والاندماج الأوروبف وءعءءفة الاقطاب.

وبالنسبة لمن هم ضء هءه المباءئ فقء أمضوا عاما ءفءا. لءنه مءظءون إن ظنوا أن من فءعم هءه
القفم فقءوا الإرءاء والقءرة على زرع روح ءءعاون والانسءام.

* ءاففر سولانا، كان وزفرا فف ءءوماء الإسبائف لمدء 13 سنة، وأمفن عام لءلف شمال
الأطلسف وهو ءاففا رئفس مركز ESADE للاءءءاء العالف والءءراففا السفاسفة وزمفل
مءمفز فف معءء بروكفنءز

<https://www.project-syndicate.org>

.....

* الآراء الوارءة لا ءعبر بالضرورة عن رأف شبكة النباء المعلومائف